كتاب نادر
بعنوان " وصف مصر" عام ١٧٤٠

أ.د. محمد عبدالرحمن الشرنوبي*

هذا كتاب عنوانه وصف مصر Description De L'Egypte نشر في باريس عام ١٧٣٥ أي قبل الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ بثلاث وسبعين عاما ويشتمل وفق ما أوردته صفحته الأولى (الغلاف) على العديد من الملاحظات المثيرة المتعلقة بالجغرافية القديمة والحديثة لمصر وبآثارها القديمة وطباع أهلها وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم الدينية وحكومتهم والنشاط التجاري الذي يمارسه سكانها، بالإضافة إلى حيواناتها ونباتاتها من مختلف الأشكال والأنواع.

---

* الأستاذ بكلية الآداب – جامعة الفيوم، وأمين عام المجمع العلمى المصرى.

إن هذا الكتاب الذي لم يكتب عنه أحد من قبل، لابد أن يثير لدى المؤرخين المعنيين على وجه الخصوص بالآثار العلمية للحملة الفرنسية على مصر، والتي تختزل عادة في كتاب وصف مصر الذي صدر بعد مغادرة الحملة الفرنسية على مصر بسبع سنوات ١٨٠٧، لابد أن يثير لديهم تساؤلات في غاية الأهمية حول العلاقة بين الكتابين الصادرين عن باريس وعن دولة واحدة هي مصر، ويمتد التساؤل إلى ما هو أخطر بكثير فمثلا: هل استلهم علماء الحملة الفرنسية منهجهم في كتاب وصف مصر الذين نشروه في بدايات القرن التاسع عشر فجاء أشبه ما يكون بما جاء في كتاب علماء الحملة الفرنسية.

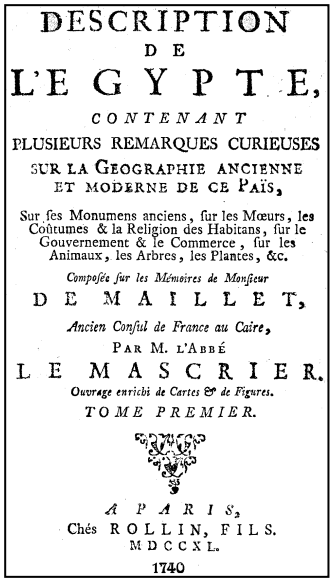
DESCRIPTION
DE
L'EGYPTE,
CONTENANT
PLUSIEURS REMARQUES CURIEUSES
SUR LA GEOGRAPHIE ANCIENNE
ET MODERNE DE CE PAÏS,
Sur ſes Monumens anciens, ſur les Mœurs, les Coûtumes & la Religion des Habitans, ſur le Gouvernement & le Commerce, ſur les Animaux, les Arbres, les Plantes, &c.
Compoſée ſur les Mémoires de Monſieur
D E M A I L L E T,
Ancien Conſul de France au Caire,
PAR M. L'ABBÉ
L E M A S C R I E R.
Ouvrage enrichi de Cartes & de Figures.
TOME PREMIER.
A P A R I S,
Chés ROLLIN, FILS.
M D C C X L.
1740

غلاف كتاب وصف مصر
الصادر عام ١٧٤٠

خريطة مصر كما جاءت فى بداية الكتاب.

هذا الكتاب الذي نكتب عنه الآن والذي صدر قبل منتصف القرن الثامن عشر يجعل هذا التساؤل يزداد إلحاحا لو عرفنا المزيد عن مؤلف كتابنا ومحتواه ومؤلفه والدعم الذي حصل عليه من القصر الملكي الفرنسي حتى أن غلافه الخارجي كتب عليه عبارة (بهبة ملكية).

السيد "دومابيه" قنصل فرنسا بالقاهرة
Benoit De Maillet

صدر هذا الكتاب عام ١٧٣٥ وتم تأليفه استناداً إلى المذكرات التي حررها السيد دومابية Benoit De Maillet قنصل فرنسا في مصر خلال عمله بمصر تكليفا من الحكومة الفرنسية، وقد تصدرته مقدمة **ضافة** للقس لو ماسكريية Le Mascrier الذي اهتم بالإشارة إلى أن هذا الكتاب مزود بالخرائط والأشكال والرسوم التوضيحية.

وقد صدر هذا الكتاب عن دار رولان وأبنائه Rollin , Fils في باريس بهبة ملكية، على أن الحصول عليه يكون من كل من "لوى جينو بسان بيير اوليان" أو "جاك لولان الابن بسان أتاناز". وقد تصدر الغلاف الداخلي للكتاب صورة كبيرة مطوية لمؤلفه القنصل دومابيه، وخريطة لعموم مصر.

كان منهج الكتاب الذي صدر في جزئين مرة وفى جزء واحد مرة أخري أن يكون على هيئة رسائل (Letters) كل رسالة منها تماثل في محتواها فصل من فصول الكتاب، وقبل أن نسرد محتوى هذه الرسائل (الفصول) لابد من عرض ظروف نشره في باريس لنقف على ظروف السماح بنشره وكيفية السماح لمؤلفه بنشره والتصريح لجهة نشره بذلك.

نشر الكتاب في مقدمة غير عادية ما جاء على لسان مندوب وزير العدل الفرنسي الذي قال: لقد قرأت كتاب "وصف مصر" الذي كتبه السيد ماييه وذلك بناء على طلب معالي وزير العدل، ولم أجد فيه ما يمنع طباعته، وحررت هذه التأشيرة الموجزة بتاريخ ١٠ مارس ١٧٣٥، وجاء في كونه هبة ملكية خطاب الملك الذي حرره مستشاره مسيو سانسون (Sainson) نيابة عن الملك يقول فيه مخاطبا مستشاريه ورجال البلاط الملكي وأعضاء البرلمان: إن عزيزنا الناشر جاك رولان كان قد تقدم إلينا بالتماس للسماح له بطباعة كتاب تحت عنوان "وصف مصر" كتبه السيد ماييه قنصلنا في مصر، مقدما لهذا الغرض نوع جيد من الورق، وحروف طباعيه جميلة حسب الصفحات المحررة، وقد سمحنا له بما طلب، وبهذا الخطاب نسمح له بطباعة الكتاب المذكور عاليه بكامله أو بأجزاء منه بأي عدد من الطبعات التي يرغب فيها، وبان يبيعه في مملكتنا لمدة ثلاث سنوات متعاقبة بدءا من تاريخ هذه الرسالة، كما نحذر أي دار طباعة أ، نشر أو أي جهة مهما كانت من نشرة في عموم الدولة أو خارجها. ولتكن طباعته في مملكتنا وليس في أي مكان آخر، وان تكون هذه الطباعة مطابقة لمواصفات وشروط النشر التي صدر بها مرسوم ملكي في العاشر من إبريل عام ١٧٢٥. على أن تنشر هذه الرسالة الملكية (الاستحسان الملكي) وتابع:

وفى صدر هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي معالي وزير العدل المخلص شوفسلان، وان تحتفظ المكتبة الملكية العامة بنسختين منه، وكذلك في مكتبة قصر اللوفر، ونسخة في مكتبة معالي وزير العدل، كما لا نسمح بأي عقبات تقف أمام إتمام نشره، أو تأخره، وأن يتمتع بكافة التسهيلات اللازمة لخروجه على النحو الوارد هنا.

وقد ذيلت هذه الرسالة بتوقيع الملك ممثلا في مستشاره مسيو سانسون في باريس بتاريخ ٢١ مايو ١٧٣٥، وبعد أن أفرد المؤلف لكتابه مقدمة تناول فيها

عمله وأسلوب جمع مادته وتحريرها وما حواه من رسائل، بدأ في كتاب هذه الرسائل على نحو ما سترد عليه في هذا البحث، وقد جاءت الرسائل في أجزاء متتالية تبدأ كل منها بصفحة مؤطرة بإطار جميل يشتمل على رقمها وعنوانها وأبرز ما تحتويه من معلومات.

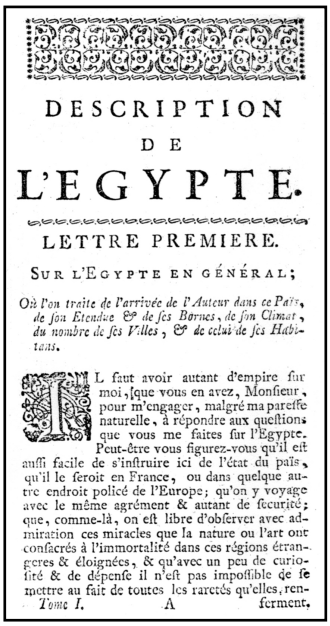

DESCRIPTION
DE
L'EGYPTE.

LETTRE PREMIERE.

SUR L'EGYPTE EN GÉNÉRAL;

Où l'on traite de l'arrivée de l'Auteur dans ce Païs, de son Etendue & de ses Bornes, de son Climat, du nombre de ses Villes, & de celui de ses Habitans.

IL faut avoir autant d'empire sur moi, que vous en avez, Monsieur, pour m'engager, malgré ma paresse naturelle, à répondre aux questions que vous me faites sur l'Egypte. Peut-être vous figurez-vous qu'il est aussi facile de s'instruire ici de l'état du païs, qu'il le seroit en France, ou dans quelque autre endroit policé de l'Europe; qu'on y voyage avec le même agrément & autant de sécurité; que, comme-là, on est libre d'observer avec admiration ces miracles que la nature ou l'art ont consacrés à l'immortalité dans ces régions étrangeres & éloignées, & qu'avec un peu de curiosité & de dépense il n'est pas impossible de se mettre au fait de toutes les raretés qu'elles renferment.

Tome I. A

الفصل الأول
(أو الرسالة الأولى) فى الكتاب

جاء في **الرسالة الأولى** (عن مصر بشكل عام **Lettre Premier:** Egypte En Général) أن هذه الرسالة تتناول وصول المؤلف مسيو مابيه Benoit De Maillet إلى مصر واستقراره في القاهرة عاصمة هذا البلد، وكتب عن الملامح العامة لها: حدودها ومساحتها وظروفها وأحوالها المناخية، كما عدّد المدن بها وتعداد سكانها، وقد اعتبر هذه الرسالة (الفصل) بمثابة استهلال منطقي لعمله، ولعله اكتفي بخريطة مصر التي وضعها في صدر هذا الكتاب لتغنيه عن مزيد من التفاصيل التي لم يتسع لها هذا العمل، والخريطة تاريخيا تعد مدهشة ومثيرة، إذ إنها تختلف كل الاختلاف عما جاء بمثيلتها في أطلس الحملة الفرنسية على مصر. كما كان اعتماده في تقديرات أعداد السكان على الاستفسارات الشفوية دون الميدانية وهو أمر طبيعي لكاتب ليست مهنته التحقيق الإحصائي أو التقصي الميداني لمثل هذه الأمور.

أما **الرسالة الثانية** فكانت عن نهر النيل (**Letter Seconde:** De Fleuve De Nil) وقد تناول فيها بشكل غير دقيق تماما هذا النهر ومساره في الجنوب حتى منابعه، كما ذكر بعض مجارية ومصباتها وفق المسميات التي سادت محليا آنذاك،

وقد تعرض لفيضان النيل وحاول البحث عن أسباب هذه الفيضان وموعده وما يحدث من تأثير غرق الكثير من الأراضي الزراعية التي تنتشر على جانبيه اعتمادا على الأرض الخصبة التي يخلفها هذا الفيضان عادة فيعتمد عليه الفلاحون في الزراعة مرة واحدة في السنة انتظارا لفيضان جديد تعقبه زراعة جديدة، وكان من حرصه على الكتابة عن هذا الجانب أن ذكر مقياس النيل التاريخي وجاء برسام قام برسمه ونشره في هذا الفصل (الرسالة) من فصول الدراسة محاولا ذكر ما يعقب الفيضان من أحداث جسام في سنوات الغرق الكبرى كما قال.

أما **الرسالة الثالثة**، فجاءت بعنوان أقسام مصر العليا والسفلى (**Littre Troisieme:** Devision De L' Egypte En Haute Et Basse) وهذه الرسالة ويعد هذا التقسيم إلى حد ما أول تقسيم جغرافي يستخدم مصطلحي مصر العليا ومصر السفلى موقعا على خريطة تصورية (تختلف عن الخريطة المرفقة بصدد هذا الكتاب) أو افتراضية، ولكنها لم تجانب الصواب كثيرا جغرافيا، وتحدث في هذا الفصل عن الدلتا ومداها حتى البحر في الشمال وانتشار آثار طمي النيل شرقها وغربها ، وما أحدثته من استقرار للفلاحين وانتشار بعض القرى والنواحي العمرانية على سطحها، وحتى إذا وصل حديثة عن أقصى الشمال، نراه يتحدث عن أكبر مدينتين قامتا على

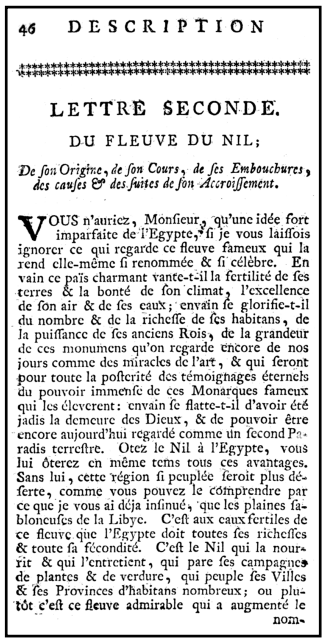

46 DESCRIPTION

LETTRE SECONDE.

DU FLEUVE DU NIL;

De son Origine, de son Cours, de ses Embouchures, des causes & des suites de son Accroissement.

VOUS n'auriez, Monsieur, qu'une idée fort imparfaite de l'Egypte, si je vous laissois ignorer ce qui regarde ce fleuve fameux qui la rend elle-même si renommée & si célèbre. En vain ce païs charmant vante-t-il la fertilité de ses terres & la bonté de son climat, l'excellence de son air & de ses eaux; envain se glorifie-t-il du nombre & de la richesse de ses habitans, de la puissance de ses anciens Rois, de la grandeur de ces monumens qu'on regarde encore de nos jours comme des miracles de l'art, & qui feront pour toute la posterité des témoignages éternels du pouvoir immense de ces Monarques fameux qui les éleverent: envain se flatte-t-il d'avoir été jadis la demeure des Dieux, & de pouvoir être encore aujourd'hui regardé comme un second Paradis terrestre. Otez le Nil à l'Egypte, vous lui ôterez en même tems tous ces avantages. Sans lui, cette région si peuplée seroit plus déserte, comme vous pouvez le comprendre par ce que je vous ai déja insinué, que les plaines sablonneuses de la Libye. C'est aux eaux fertiles de ce fleuve que l'Egypte doit toutes ses richesses & toute sa fécondité. C'est le Nil qui la nourrit & qui l'entretient, qui pare ses campagnes de plantes & de verdure, qui peuple ses Villes & ses Provinces d'habitans nombreux; ou plutôt c'est ce fleuve admirable qui a augmenté le nom-

الفصل الثانى
(أو الرسالة الثانية) فى الكتاب

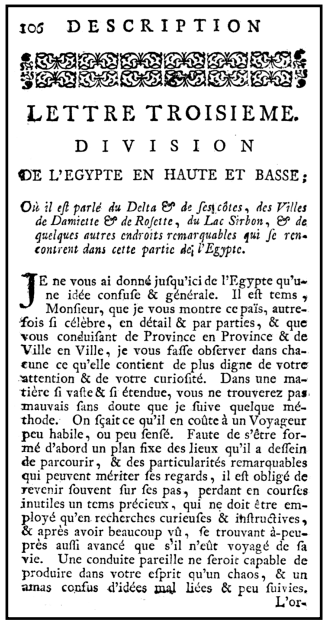

106 DESCRIPTION

LETTRE TROISIEME.

DIVISION

DE L'EGYPTE EN HAUTE ET BASSE;

Où il est parlé du Delta & de ses côtes, des Villes de Damiette & de Rosette, du Lac Sirbon, & de quelques autres endroits remarquables qui se rencontrent dans cette partie de l'Egypte.

JE ne vous ai donné jusqu'ici de l'Egypte qu'une idée confuse & générale. Il est tems, Monsieur, que je vous montre ce païs, autrefois si célèbre, en détail & par parties, & que vous conduisant de Province en Province & de Ville en Ville, je vous fasse observer dans chacune ce qu'elle contient de plus digne de votre attention & de votre curiosité. Dans une matière si vaste & si étendue, vous ne trouverez pas mauvais sans doute que je suive quelque méthode. On sçait ce qu'il en coûte à un Voyageur peu habile, ou peu sensé. Faute de s'être formé d'abord un plan fixe des lieux qu'il a dessein de parcourir, & des particularités remarquables qui peuvent mériter ses regards, il est obligé de revenir souvent sur ses pas, perdant en courses inutiles un tems précieux, qui ne doit être employé qu'en recherches curieuses & instructives, & après avoir beaucoup vû, se trouvant à-peu-près aussi avancé que s'il n'eût voyagé de sa vie. Une conduite pareille ne seroit capable de produire dans votre esprit qu'un chaos, & un amas confus d'idées mal liées & peu suivies. L'or-

الفصل الثالث
(أو الرسالة الثالثة) فى الكتاب

أطراف هذه الدلتا وهما دمياط ورشيد بالإضافة إلى غيرها من المراكز العمرانية الأقل حجماً والأقل سكاناً والتي تنتشر على صفحة الدلتا. كما ذكر البحيرات التي تنتشر في الشمال (بحيرات البراري) ومنها بحيرة سيربون التي اختصها بالذكر دون سواها من البحيرات التي قال أنها تنتشر موازية لشواطئ الدلتا الشمالية تاركة لسانا من اليابس إلى الشمال منها.

وقد أورد في هذه الرسالة صورة لبعض نباتات صحراء المطرية ومسلتها الفرعونية المعروفة التي جاء ذكرها في حديثه عن أهم معالم الدلتا المصرية.

إما عنوان الرسالة الرابعة فكان:

Letter Quatriemen: De La Ville d' Alexandria Ancient & Modern, des Monumens qu'elle renferme, & en Particulier de la colomne de pompée

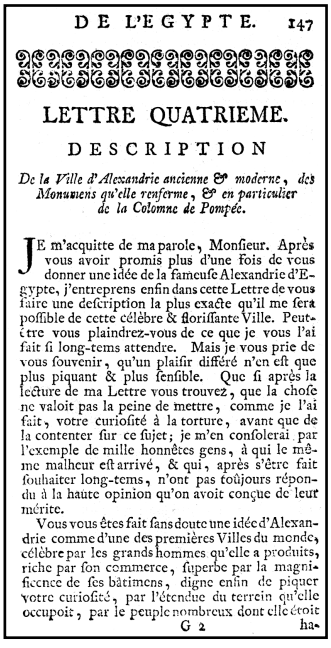

DE L'EGYPTE. 147

LETTRE QUATRIEME.

DESCRIPTION

De la Ville d'Alexandrie ancienne & moderne, des Monumens qu'elle renferme, & en particulier de la Colomne de Pompée.

JE m'acquitte de ma parole, Monsieur. Après vous avoir promis plus d'une fois de vous donner une idée de la fameuse Alexandrie d'Egypte, j'entreprens enfin dans cette Lettre de vous faire une description la plus exacte qu'il me sera possible de cette célèbre & florissante Ville. Peut-être vous plaindrez-vous de ce que je vous l'ai fait si long-tems attendre. Mais je vous prie de vous souvenir, qu'un plaisir différé n'en est que plus piquant & plus sensible. Que si après la lecture de ma Lettre vous trouvez, que la chose ne valoit pas la peine de mettre, comme je l'ai fait, votre curiosité à la torture, avant que de la contenter sur ce sujet; je m'en consolerai par l'exemple de mille honnêtes gens, à qui le même malheur est arrivé, & qui, après s'être fait souhaiter long-tems, n'ont pas toûjours répondu à la haute opinion qu'on avoit conçue de leur mérite.

Vous vous êtes fait sans doute une idée d'Alexandrie comme d'une des premières Villes du monde, célèbre par les grands hommes qu'elle a produits, riche par son commerce, superbe par la magnificence de ses bâtimens, digne enfin de piquer votre curiosité, par l'étendue du terrein qu'elle occupoit, par le peuple nombreux dont elle étoit

G 2 ha-

الفصل الرابع
(أو الرسالة الرابعة) فى الكتاب

وكان هذا العنوان بمثابة محتوى هذا الفصل الذي وصف فيه مدينة الإسكندرية القديمة وهو في مصر في الحديث عن حالها الذي عاصره، وقد أسرف في الكتابة عن آثارها الرومانية ومدرجها الشهير، وكذلك إلى مسلة كليوباترا Aiguille de Cleopatra وعمود السواري الذي أطلق عليه Colomne de Pumpee وقد وضع رسمين مرسومتين لهما قبل نهاية هذا الفصل (الرسالة).

ويعد هذا الفصل أرشيفاً تاريخياً سجل فيه هذا القنصل أهم آثار الإسكندرية وفق ما كانت عليه في كتب الآثار التي استخلص منها أسماءها وليس مما يطلقه الأهالي المقيمين في المدينة عليها.

وجاء في الرسالة الخامسة الكثير عن مدينة القاهرة التي عاش فيها فترة من الزمن، وكان عنوان هذا الفصل (الرسالة) **Lettre Cinquieme:** De La Ville Du Caire.

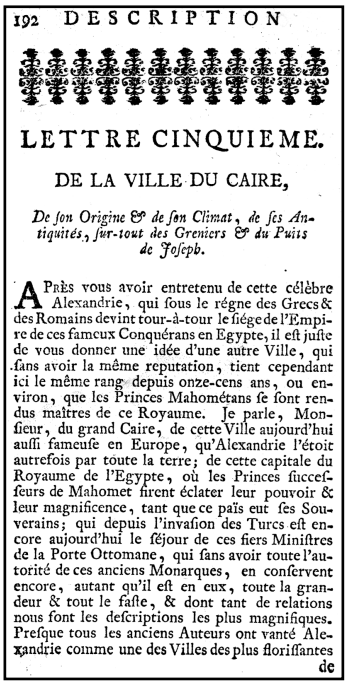
192 DESCRIPTION

LETTRE CINQUIEME.

DE LA VILLE DU CAIRE,

De ſon Origine & de ſon Climat, de ſes Antiquités, ſur-tout des Greniers & du Puits de Joſeph.

APRÈS vous avoir entretenu de cette célèbre Alexandrie, qui ſous le régne des Grecs & des Romains devint tour-à-tour le ſiége de l'Empire de ces fameux Conquérans en Egypte, il eſt juſte de vous donner une idée d'une autre Ville, qui ſans avoir la même reputation, tient cependant ici le même rang depuis onze-cens ans, ou environ, que les Princes Mahométans ſe ſont rendus maîtres de ce Royaume. Je parle, Monſieur, du grand Caire, de cette Ville aujourd'hui auſſi fameuſe en Europe, qu'Alexandrie l'étoit autrefois par toute la terre; de cette capitale du Royaume de l'Egypte, où les Princes ſucceſſeurs de Mahomet firent éclater leur pouvoir & leur magnificence, tant que ce païs eut ſes Souverains; qui depuis l'invaſion des Turcs eſt encore aujourd'hui le ſéjour de ces fiers Miniſtres de la Porte Ottomane, qui ſans avoir toute l'autorité de ces anciens Monarques, en conſervent encore, autant qu'il eſt en eux, toute la grandeur & tout le faſte, & dont tant de relations nous font les deſcriptions les plus magnifiques. Preſque tous les anciens Auteurs ont vanté Alexandrie comme une des Villes des plus floriſſantes de

الفصل الخامس
(أو الرسالة الخامسة) فى الكتاب

ويعد هذا الفصل من أطول فصول الكتاب، وقد عنى في صدره بتاريخ مدينة القاهرة وما كانت عليه في العصور السابقة، ومتناول نشأتها منذ عهد المعز لدين الله الفاطمي أولا ثم اتبع ذلك بدراسة الظروف المناخية المحيطة بها في سرد صحفي أكثر منه علمي، حيث افتقد البيانات المتعلقة بالطقس ربما لانعدام محطات الرصد الجوي التي لم يكن لها وجود آنذاك إلا في المواني الخاضعة للإدارة الأجنبية خدمة لمصالح السفن الآتية والغادية والتي كان لها شأن كبير آنذاك والذي تميز بتقدم طرق النقل البحري، وخصائص البحار خاصة البحر المتوسط، الذي كان يعنى الكثير للفرنسيين كما ظهر من خلال اهتمام نابليون وحملته فيما بعد بمواني مصر كجزء من الاهتمام الشامل بالمياه الدولية.

وقد انتقل المؤلف إلى آثار مصر الفرعونية والإسلامية وأنا هنا لست في معرض الحديث عما حواه هذا الفصل بدقة، ولكنه حرر تاريخ مدينة القاهرة منذ الفتح الإسلامي، والغريب أنه أسرف في الحديث عن علاقة تاريخ مصر بأفريقيا، وسرد الكثير من الآثار التي لم ينل الزمن منها بالقدر الذي يسمح بطمسها، وجاءت شهاداته للمتوفر منها قبل الكشف الدقيق لحدودها ومدي ما فعلته عوامل التعرية فيها، وهو الأمر الذي دققه ورسمه وأسرف في وصفه علماء الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر في كتابهم وصف مصر المعروف.

وفي معرض الحديث عن تاريخ مدينة القاهرة وآثارها الإسلامية على وجه الخصوص، أشار إلى وجود آثار لصوامع للغلال، وحاول أن يؤكد العلاقة بينها وبين ما أسماه آبار يوسف الموجودة في الصحراء المجاورة لجبل الجيوشى بقلعة صلاح الدين، والتي لم يُجزم المؤرخون بأن هذه الآبار هي التي كان من بينها البئر الذي آوى يوسف عليه السلام عندما ألقاه أخوته فيه (في غيابة الجب)، كما تعرض لوصف جزء من سور القاهرة التاريخي وبواباته، وذكر شيئاً عن المسلمين والأقباط دون الإشارة إلى أعدادهم أو انتشارهم الجغرافي هناك، وهو الأمر الذي أفرد له فصلا كاملا هو الفصل أو الرسالة العاشرة التي عنى فيها بالدين عند المصريين قديما وحديثا على النحو الذي سنعرض له لاحقا.

وجاءت رسالته السادسة أو الفصل السادس من الكتاب بعنوان :

Lettre Sixieme: Description de Fameuses Pyramides d' Egypt, & in particulier de la pius grand, de son interieus, &des secrets qu'elle renserme.

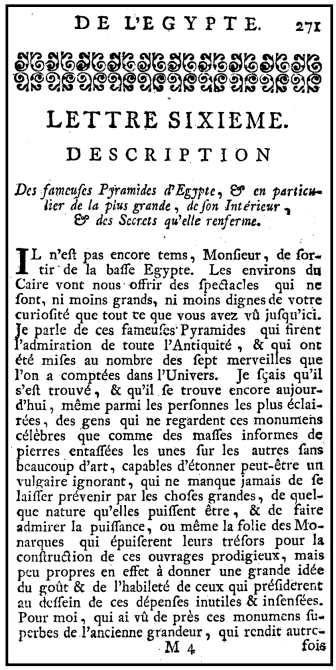

DE L'EGYPTE. 271

LETTRE SIXIEME.

DESCRIPTION

Des fameuſes Pyramides d'Egypte, & en particulier de la pius grande, de ſon Intérieur, & des Secrets qu'elle renferme.

IL n'eſt pas encore tems, Monſieur, de ſortir de la baſſe Egypte. Les environs du Caire vont nous offrir des ſpectacles qui ne ſont, ni moins grands, ni moins dignes de votre curioſité que tout ce que vous avez vû juſqu'ici. Je parle de ces fameuſes Pyramides qui firent l'admiration de toute l'Antiquité, & qui ont été miſes au nombre des ſept merveilles que l'on a comptées dans l'Univers. Je ſçais qu'il s'eſt trouvé, & qu'il ſe trouve encore aujourd'hui, même parmi les perſonnes les plus éclairées, des gens qui ne regardent ces monumens célèbres que comme des maſſes informes de pierres entaſſées les unes ſur les autres ſans beaucoup d'art, capables d'étonner peut-être un vulgaire ignorant, qui ne manque jamais de ſe laiſſer prévenir par les choſes grandes, de quelque nature qu'elles puiſſent être, & de faire admirer la puiſſance, ou même la folie des Monarques qui épuiſerent leurs tréſors pour la conſtruction de ces ouvrages prodigieux, mais peu propres en effet à donner une grande idée du goût & de l'habileté de ceux qui préſiderent au deſſein de ces dépenſes inutiles & inſenſées. Pour moi, qui ai vû de près ces monumens ſuperbes de l'ancienne grandeur, qui rendit autrefois

M 4

الفصل السادس
(أو الرسالة السادسة) فى الكتاب

وملخص هذه الرسالة أنها جاءت في وصف أهم آثار مصر وهو الأهرامات الثلاثة. وقد خص الهرم الأكبر بدراسة مستفيضة واصفاً أبعاده وشكله واتجاه جدرانه الخارجية، كما تعرض لتفاصيل شكله الهندسي وغرفه بالداخل، وممراته المؤدية إلى غرفة الملك أو إلى غرفة الملكة، وقد تحدث بإسهاب عن هذا الهرم وشهرته وما يحيط به من أسرار على المستوى المحلى أو الخارجي، وقد أرفق رسما تصويريا (جرافيك) للهرم وحدد ممراته الداخلية بشئ قريب من الدقة وأرفق بركن منه رسوما لتفاصيل أهم ممراته حتى نهايتها عند غرف الدفن والغريب أنه وضع

لرسمه بداخل هذا الهرم مقياس رسم مقارن بمقاييس زمانه، وحدد مواقع معينه على ممراته جاء ذكرها في النص الذي يشير إليه في هذه الرسالة.

وقد جاء هذا الفصل بتفاصيل عديدة حول ما رآه أو ما سمع عنه أو قرأ حول هذه الأهرامات "الشهيرة" التي كانت معروفة قبل زمانه بكثير، والتي كان صيتها ذائعاً في القرون السابقة.

ولم نتمكن من سرد تفاصيل ما جاء به لدقته ودقة تفصيلاته والحشد الذي جاء به من معلومات غير دقيقة، وتأكد ذلك فيما بعد عندما كُشفت أسرار هذا الهرم من قِبل الكشافين والرحالة ورجال الآثار في مصر والخارج خلال بعثات وجودهم بالقاهرة.

وقد أفرد فصلا (رسالة) مستقلا تحدث فيه عن المومياوات وهى **الرسالة السابعة** التي جاء عنوانها:

Lettre Septieme: Du Lieu Des Momies, Et de la Célèbre Ville de Memphis.

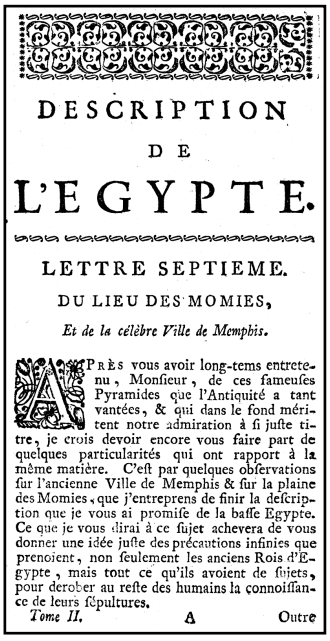

DESCRIPTION
DE
L'EGYPTE.

LETTRE SEPTIEME.
DU LIEU DES MOMIES,
Et de la célèbre Ville de Memphis.

APRÈS vous avoir long-tems entretenu, Monſieur, de ces fameuſes Pyramides que l'Antiquité a tant vantées, & qui dans le fond méritent notre admiration à ſi juſte titre, je crois devoir encore vous faire part de quelques particularités qui ont rapport à la même matière. C'eſt par quelques obſervations ſur l'ancienne Ville de Memphis & ſur la plaine des Momies, que j'entreprens de finir la deſcription que je vous ai promiſe de la baſſe Egypte. Ce que je vous dirai à ce ſujet achevera de vous donner une idée juſte des précautions infinies que prenoient, non ſeulement les anciens Rois d'Egypte, mais tout ce qu'ils avoient de ſujets, pour dérober au reſte des humains la connoiſſance de leurs ſépultures.

Tome II. A Outre

الفصل السابع
(أو الرسالة السابعة) فى الكتاب

تناول فيه المومياوات التي وجدها خلال ما تواتر إليه من أعمال تنقيب متواضعة لبعض المغامرين الأوروبيين، وقاس أطوالها، ورسم مخادعها رسماً دقيقاً نشره في هذا الفصل بين الاستغراب والتساؤل والاستماع إلى أقاويل الأهالي البسطاء، كما تعرض في هذا الفصل إلى مدينة ممفيس الشهيرة ذاكرا حدودها كما تصورها وأهم آثارها ومعالمها المميزة، وتعرض لنبذة تاريخية حول موقعها وتأثيرها في عصر خلدها كأعظم مدينة مصرية متكاملة.

أما الرسالة الثامنة فكان عنوانها:

Lettre Huitieme, De La Haute Egypt, De son climat, de ses villas, de ses villes, de ses Richesses & de ses Antiquites, des deserts de Saint- Macaire, de la Thébaide, du Fameux Monastery de saint-Antoine.

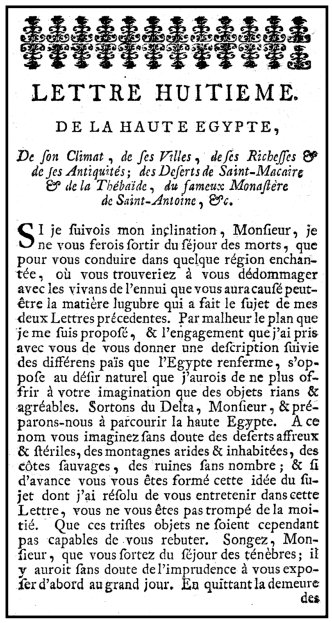

LETTRE HUITIEME.

DE LA HAUTE EGYPTE,

De ſon Climat, de ſes Villes, de ſes Richeſſes & de ſes Antiquités; des Deſerts de Saint-Macaire & de la Thébaïde, du fameux Monaſtère de Saint-Antoine, &c.

SI je ſuivois mon inclination, Monſieur, je ne vous ferois ſortir du ſéjour des morts, que pour vous conduire dans quelque région enchantée, où vous trouveriez à vous dédommager avec les vivans de l'ennui que vous aura cauſé peut-être la matière lugubre qui a fait le ſujet de mes deux Lettres précedentes. Par malheur le plan que je me ſuis propoſé, & l'engagement que j'ai pris avec vous de vous donner une deſcription ſuivie des différens païs que l'Egypte renferme, s'oppoſe au déſir naturel que j'aurois de ne plus offrir à votre imagination que des objets rians & agréables. Sortons du Delta, Monſieur, & préparons-nous à parcourir la haute Egypte. A ce nom vous imaginez ſans doute des deſerts affreux & ſtériles, des montagnes arides & inhabitées, des côtes ſauvages, des ruines ſans nombre; & ſi d'avance vous vous êtes formé cette idée du ſujet dont j'ai réſolu de vous entretenir dans cette Lettre, vous ne vous êtes pas trompé de la moitié. Que ces triſtes objets ne ſoient cependant pas capables de vous rebuter. Songez, Monſieur, que vous ſortez du ſéjour des ténèbres; il y auroit ſans doute de l'imprudence à vous expoſer d'abord au grand jour. En quittant la demeure des

الفصل الثامن
(أو الرسالة الثامنه) فى الكتاب

ومنه يتضح أنه يتناول مصر العليا، وبدأ حديثة عن ظروفها المناخية التي يميزها الجفاف في عمومة وندرة الأمطار على وجه الخصوص، وذكر أهم مدنها وعلى وجه الخصوص القصير والسويس وسواكن وميناء عيذاب الذي كان مزدهراً ومشتهراً بنقل الأفراد والبضائع إلى الحبشة، ولم ينس أن هذه المدن المطلة على بحر القلزم (الأحمر) تستقر عند أقدام سلسلة جبال البحر الأحمر شديدة الوعورة إلى الغرب منها، وكيف كان النيل شريان النقل إلى أراضى النوبة، وكان من بين اجتهاداته أن أشار إلى أن ميناء القصير يعنى باللغة العربية الميناء الصغير etite، وذكر في هذه الرسالة الصحراء الغربية التي تمثل امتداد تضاريسياً لا تحكم حدود مصر مع ليبيا أي حدود، فهي تخوم للعرب فيها نفوذ ويعرفون دروبها بدقة.

وقد تناول فيما تناوله ما جاء به هيرودوت وما ذكره عن وجود عدد من الأديرة محاذية لمسار النيل، وما ذكره عن برزخ السويس الذي خص فيه مدينة السويس بالحديث والوصف كونها ميناءً مهماً على رأس البحر الأحمر، ونقطة الجنوب الأقصى لبرزخ السويس، الذي يفصل الصحراء الشرقية عن شبة جزيرة سيناء التي يستقر على أعلى جبالها دير سان ماكير (سانت كترين) الذي يتمتع بقداسة فريدة لدى أقباط مصر والخارج.

وقد أطلق المؤلف عل مصر العليا مصطلح تيبايد Thebaide على مصر العليا نسبة إلى عاصمتها القديمة طيبة، وهناك تفاصيل فريدة ضمّنها هذا الفصل، وينبغي أن نقارن ما جاء به المؤلف هنا بما استلهمه علماء الحملة الفرنسية عند حديثهم عن جنوب مصر بدءاً من سواحل البحر الأحمر شرقا حتى الصحراء الغربية غرباً، وجنوباُ حتى النوبة.

إما الرسالة التاسعة فكانت بعنوان :

Lettre Neuvieme: Histoire Naturelle De L' Egypte.

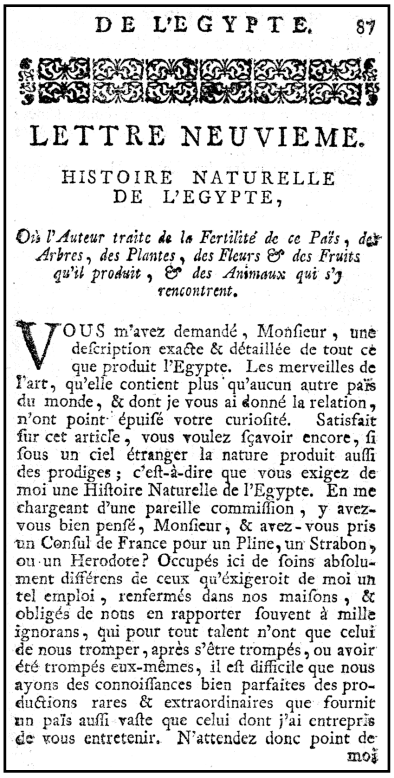

DE L'EGYPTE. 87

LETTRE NEUVIEME.

HISTOIRE NATURELLE DE L'EGYPTE,

Où l'Auteur traite de la Fertilité de ce Païs, des Arbres, des Plantes, des Fleurs & des Fruits qu'il produit, & des Animaux qui s'y rencontrent.

VOUS m'avez demandé, Monſieur, une deſcription exacte & détaillée de tout ce que produit l'Egypte. Les merveilles de l'art, qu'elle contient plus qu'aucun autre païs du monde, & dont je vous ai donné la relation, n'ont point épuiſé votre curioſité. Satisfait ſur cet article, vous voulez ſçavoir encore, ſi ſous un ciel étranger la nature produit auſſi des prodiges; c'eſt-à-dire que vous exigez de moi une Hiſtoire Naturelle de l'Egypte. En me chargeant d'une pareille commiſſion, y avez-vous bien penſé, Monſieur, & avez-vous pris un Conſul de France pour un Pline, un Strabon, ou un Herodote? Occupés ici de ſoins abſolument différens de ceux qu'éxigeroit de moi un tel emploi, renfermés dans nos maiſons, & obligés de nous en rapporter ſouvent à mille ignorans, qui pour tout talent n'ont que celui de nous tromper, après s'être trompés, ou avoir été trompés eux-mêmes, il eſt difficile que nous ayons des connoiſſances bien parfaites des productions rares & extraordinaires que fournit un païs auſſi vaſte que celui dont j'ai entrepris de vous entretenir. N'attendez donc point de moi;

الفصل التاسع
(أو الرسالة التاسعة) فى الكتاب

وهو فصل كبير تناول فيه الكاتب أصل خصوبة أرض مصر، ومناخها، وما تحويه من زراعات وأشجار ونباتات وأزهار وفواكه، بالإضافة إلى حيوانات الحقل والبر، ويقول المؤلف إن أرض مصر بما تحويه من تنوع في الحياة الطبيعية، تُعد أكثر دول العالم غنى بها، فالطبيعية في مصر تنتج العجائب على حد قوله، ولا أستطيع حصر ما تتمتع به مصر من عناصر الحياة الطبيعية التي عددها، وإن كان هيرودوت قد حاول ذلك من قبل، فمن الصعب الحصول على دراية كاملة بمفردات هذه الحياة النادرة وغير العادية التي تحتويها بلد كهذا البلد، ويستطرد في ذكر ما استطاع حصره من نبات وحيوان وطيور، وقد زوّد هذا الفصل بصورة لفرس النهر، وإحدى الزواحف L'Ichneumon المنتشرة في الصحاري المتاخمة للحقول.

وجاء عنوان الرسالة العاشرة على النحو التالي:

Lettre Dixieme: De la Religion Des Egyptiens, Tant anciens que moderns, & de Leurs principals Cerémonies.

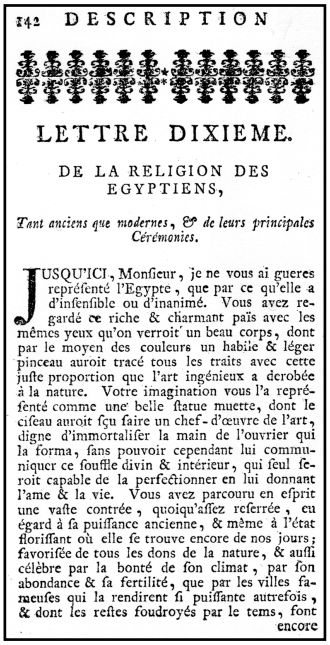

142 DESCRIPTION

LETTRE DIXIEME.

DE LA RELIGION DES EGYPTIENS,

Tant anciens que modernes, & de leurs principales Cérémonies.

JUSQU'ICI, Monſieur, je ne vous ai gueres repréſenté l'Egypte, que par ce qu'elle a d'inſenſible ou d'inanimé. Vous avez regardé ce riche & charmant païs avec les mêmes yeux qu'on verroit un beau corps, dont par le moyen des couleurs un habile & léger pinceau auroit tracé tous les traits avec cette juſte proportion que l'art ingénieux a dérobée à la nature. Votre imagination vous l'a repréſenté comme une belle ſtatue muette, dont le ciſeau auroit ſçu faire un chef-d'œuvre de l'art, digne d'immortaliſer la main de l'ouvrier qui la forma, ſans pouvoir cependant lui communiquer ce ſouffle divin & intérieur, qui ſeul ſeroit capable de la perfectionner en lui donnant l'ame & la vie. Vous avez parcouru en eſprit une vaſte contrée, quoiqu'aſſez reſerrée, eu égard à ſa puiſſance ancienne, & même à l'état floriſſant où elle ſe trouve encore de nos jours; favoriſée de tous les dons de la nature, & auſſi célèbre par la bonté de ſon climat, par ſon abondance & ſa fertilité, que par les villes fameuſes qui la rendirent ſi puiſſante autrefois, & dont les reſtes foudroyés par le tems, ſont encore

الفصل العاشر
(أو الرسالة العاشرة) فى الكتاب

ويتناول فيه الديانة المسيحية التي كانت سائدة في مصر، وما يرتبط بها من طقوس واحتفالات وكنائس ومعتقدات، وحدد بعض الجاليات وكنائسها التي كان يعين أساقفتها وكنائسها من القسطنطينية، وفى عموم هذا الفصل كان الحديث عن المسيحية بإسهاب وعن الجالية اللاتينية واليونانية التي كانت تنتشر في كل من القاهرة والإسكندرية ودمياط، والذين كانوا يتمركزون في هذه المدن كونهم يشتغلون بالتجارة، وكان لهم بطريرك خاص يقيم في الإسكندرية.

والغريب أن الكاتب هنا لم يذكر شيئا عن الديانة الإسلامية على العكس من كتاب الحملة الفرنسية الذي أفاض في الحديث عنها وعن العادات والتقاليد والموالد والمساجد المتعلقة بها وقام فنانوها آنذاك برسمها من الخارج ومن الداخل، وربما جاء ذكر ذلك في رسالته التالية (الحادية عشر) وهو يتحدث فيها عن طبائع المصريين وعاداتهم وتقاليدهم قديما وحديثا، وسوف نري ذلك على أية حال في الفصل أو الرسالة التالية.

وكان عنوان الرسالة الحادية عشر:

Lettre Onzyieme: Des Mours De Habitans De L' Egypte, Avec Un Parallélle Leurs Coûtumes anciennes & Modernes.

وكانت عن طبائع أهل مصر وعاداتهم القديمة والحديثة، ويعكف فيها على دراسة طبائع الأتراك المقيمين في مصر وتأثيرهم على هذه العادات وتلك التقاليد، ورغم تشدد الأتراك في ممارساتهم الدينية الإسلامية، إلا أنهم بمجرد قضاء فترة وجيزة في هذا البلد الساحر يتنازلون عن تشددهم ويشبهم في ذلك الأرمن فيصبح الجميع هنا مصريون طبيعيون متساوون بمجرد قضائهم بعض الوقت، في مصر، ففيها تتلاشى شخصية البلاد الأخرى تماما، ويصبح البدو الرحل فقط هم من يثبتون مكانتهم في هذا البلد ليمثلوا بذلك العبقرية المصرية الحقيقية على حسب ما ذكر.

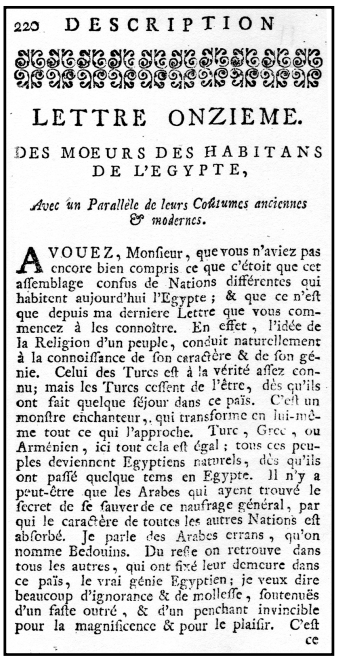
220 DESCRIPTION

LETTRE ONZIEME.

DES MOEURS DES HABITANS DE L'EGYPTE,

Avec un Parallèle de leurs Coûtumes anciennes & modernes.

AVOUEZ, Monſieur, que vous n'aviez pas encore bien compris ce que c'étoit que cet aſſemblage confus de Nations différentes qui habitent aujourd'hui l'Egypte ; & que ce n'eſt que depuis ma derniere Lettre que vous commencez à les connoître. En effet, l'idée de la Religion d'un peuple, conduit naturellement à la connoiſſance de ſon caractère & de ſon génie. Celui des Turcs eſt à la vérité aſſez connu; mais les Turcs ceſſent de l'être, dès qu'ils ont fait quelque ſéjour dans ce païs. C'eſt un monſtre enchanteur, qui transforme en lui-même tout ce qui l'approche. Turc, Grec, ou Arménien, ici tout cela eſt égal ; tous ces peuples deviennent Egyptiens naturels, dès qu'ils ont paſſé quelque tems en Egypte. Il n'y a peut-être que les Arabes qui ayent trouvé le ſecret de ſe ſauver de ce naufrage général, par qui le caractère de toutes les autres Nations eſt abſorbé. Je parle des Arabes errans, qu'on nomme Bédouins. Du reſte on retrouve dans tous les autres, qui ont fixé leur demeure dans ce païs, le vrai génie Egyptien; je veux dire beaucoup d'ignorance & de molleſſe, ſoutenuës d'un faſte outré, & d'un penchant invincible pour la magnificence & pour le plaiſir. C'eſt ce

الفصل الحادى عشر
(أو الرسالة الحادية عشر) فى الكتاب

يقول في هذه الرسالة، إن الثورات التي كانت تقوم كانت محلية ومحدودة ضد طغيان الأتراك، وكان يسودها النهب والشغب، ولكنها أبدا لا يمكن أن تلغى طبيعة تدين المصريين منذ عظمائهم الأقدمين، صاغتها الطبيعة والمناخ، وأن الطبيعة لا تلبث أن تعيد إليهم حقوقهم بسهولة، ومازلنا بهذه الطريقة نجد في المصريين اليوم نفس عبقرية القدماء بعاداتهم وأساليب حياتهم، شاهدوا شخصية الأتراك الشرسة – هكذا يقول – بعيدة عن روح الدعابة المبهجة للمصريين، ورغم هذه الشراسة والغلظة التي تميز الأتراك إلا أنهم بمجرد تواجدهم في مصر لفترة ينجبون أطفالا يتميزون بالهدوء والوداعة أسوة بأهل مصر الأصليين، ويذكر كذلك أن الزى التركي والزى الريفي يسودان المجتمع القائم آنذاك، مما يعطى تنوعاً فريداً يزداد بهجة بما يختارونه عندما يرتدون أجمل الملابس والحلي في الخارج، ويضعن إهمالهن في المنزل. ويستمر في الاسترسال حول أسلوب حياه سكان مصر من

المصريين وغير المصريين وهم عدد كبير من الشراذم الأتراك والألبان وغيرهم وإن كانت عادات وتقاليد المصريين الأصليين هي التي كانت سائدة وغالبة.

أما الرسالة الثانية عشر فقد كان عنوانها:

La Lettre Douzieme: Qui Traite Du Gouvernement De L' Egypte, et des dissérens Corps de Milices Préposés a La Gard de ce Royaume.

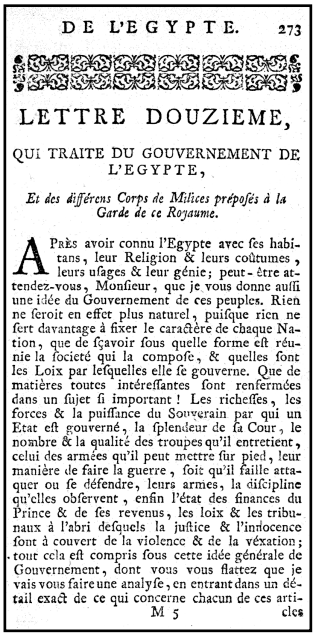

DE L'EGYPTE. 273

LETTRE DOUZIEME,

QUI TRAITE DU GOUVERNEMENT DE L'EGYPTE,

Et des différens Corps de Milices prépofés à la Garde de ce Royaume.

APrès avoir connu l'Egypte avec ſes habitans, leur Religion & leurs coûtumes, leurs uſages & leur génie; peut-être attendez-vous, Monſieur, que je vous donne auſſi une idée du Gouvernement de ces peuples. Rien ne ſeroit en effet plus naturel, puiſque rien ne ſert davantage à fixer le caractère de chaque Nation, que de ſçavoir ſous quelle forme eſt réunie la ſocieté qui la compoſe, & quelles ſont les Loix par leſquelles elle ſe gouverne. Que de matières toutes intéreſſantes ſont renfermées dans un ſujet ſi important! Les richeſſes, les forces & la puiſſance du Souverain par qui un Etat eſt gouverné, la ſplendeur de ſa Cour, le nombre & la qualité des troupes qu'il entretient, celui des armées qu'il peut mettre ſur pied, leur manière de faire la guerre, ſoit qu'il faille attaquer ou ſe défendre, leurs armes, la diſcipline qu'elles obſervent, enfin l'état des finances du Prince & de ſes revenus, les loix & les tribunaux à l'abri deſquels la juſtice & l'innocence ſont à couvert de la violence & de la véxation; tout cela eſt compris ſous cette idée générale de Gouvernement, dont vous vous flattez que je vais vous faire une analyſe, en entrant dans un détail exact de ce qui concerne chacun de ces artiM 5 cles

الفصل الثاني عشر
(أو الرسالة الثانية عشر) فى الكتاب

وخصصها الكاتب للحديث عن الحكومة المصرية، والحرس الملكي، وأقسام فيالقه العسكرية، وكيفية التواجد في المواكب والاستقبالات، وتطرق أيضا إلى سكان مصر ودينهم مرة أخري، ويقول في معرض حديثه عن الحكم والحكومة، ما الذي يجعل القانون ممكن النفاذ فيها أي في الدولة أمام وجود الثروة والقوة والسلطة، وما هو حجم القوات التي ترعي ذلك عدةً وعتاداً أو كيف يحتفظ بها الحاكم ونظام حكمه، وما هو نظام أدائهم عند المواجهة وفى الحروب دفاعاً أو هجوماً، وما دورهم في حماية أموال الحاكم والقوانين تحت زعم العدالة، وما يمكن أن يتوفر لديهم عندما تقضي الضرورة بالعنف والإزعاج، ويذكر أن إنشاء فرق من العبيد يعد ضرورة أمنية، فالسلام للحاكم والحكومة رهن بالحماية حتى يتمكن النظام الحكومي من حماية نفسه أحياناً من طغيان الأتراك.

ويتعرض الكاتب للوضع الذي كانت عليه الفنون والتجارة آنذاك وذلك في رسالته **الثالثة عشر** المعنونة:

Lettre Treizieme: De L'etat Present Des Arts et Du Commerce En Egypte, Avec un Projer Pour La Junction du commerce de la Mer Rouge.

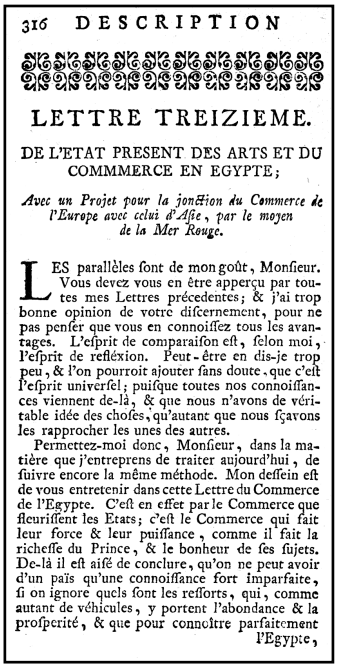

316 DESCRIPTION

LETTRE TREIZIEME.

DE L'ETAT PRESENT DES ARTS ET DU COMMMERCE EN EGYPTE;

Avec un Projet pour la jonction du Commerce de l'Europe avec celui d'Asie, par le moyen de la Mer Rouge.

LES parallèles ſont de mon goût, Monſieur. Vous devez vous en être apperçu par toutes mes Lettres précedentes; & j'ai trop bonne opinion de votre diſcernement, pour ne pas penſer que vous en connoiſſez tous les avantages. L'eſprit de comparaiſon eſt, ſelon moi, l'eſprit de refléxion. Peut-être en dis-je trop peu, & l'on pourroit ajouter ſans doute que c'eſt l'eſprit univerſel; puiſque toutes nos connoiſſances viennent de-là, & que nous n'avons de véritable idée des choſes, qu'autant que nous ſçavons les rapprocher les unes des autres.

Permettez-moi donc, Monſieur, dans la matière que j'entreprens de traiter aujourd'hui, de ſuivre encore la même méthode. Mon deſſein eſt de vous entretenir dans cette Lettre du Commerce de l'Egypte. C'eſt en effet par le Commerce que fleuriſſent les Etats; c'eſt le Commerce qui fait leur force & leur puiſſance, comme il fait la richeſſe du Prince, & le bonheur de ſes ſujets. De-là il eſt aiſé de conclure, qu'on ne peut avoir d'un païs qu'une connoiſſance fort imparfaite, ſi on ignore quels ſont les reſſorts, qui, comme autant de véhicules, y portent l'abondance & la proſperité, & que pour connoître parfaitement l'Egypte,

الفصل الثالث عشر
(أو الرسالة الثالثة عشر) فى الكتاب

ويخص بالذكر هنا تصوره لمشروع ربط تجارة أوروبا بتجارة الدول الآسيوية في جنوبها وجنوبها الشرقي على وجه الخصوص، ويقول إن هدفه أسمي من إيجاد علاقة محدودة بين جهة وأخري، بل أنه يهدف إلى علاقات دولية تعنى مجموعة من الدول والأقاليم بمجموعة من الدول والأقاليم، فالدول تزدهر من خلال التبادل التجاري، فالتجارة تمنحها القوة، والقوة مصدر سعادة الحاكم والمحكوم، ولابد من للمرء أن يمتلك المعرفة الكاملة بقدر الإمكان عن مميزات الأماكن الأخرى، وذلك لا يتم إلا بمجهود يبذل حتى لا يكون العلم بالآخرين ناقصاً، هنا يعم الخير والرخاء للجميع، وربما تكون الصناعة مع الحنكة في التعامل مصدراً فريداً من للرخاء من خلال هنا المشروع، ويتعرض لقانون البحر الذي ترعاه تركيا ويقول أن ذلك يعوق الإنطلاق في مجال التبادل التجاري، ولابد أن يكون لفرنسا دور في تثبيت وجودها في البحر المتوسط (محور الحديث) ويمكن بالتغلب على أسلوب الحماية الذي يسود هنا أو هناك، التغلب على صعوبات كبيرة في الملاحة في البحر الأحمر (ويذكر شيئا عن شعابه وظروفه المناخية وتضاريسه، ويقول أننا (أي الفرنسيين) مطالبون بحماية جميع الممرات البحرية على طوال سواحل شبة الجزيرة العربية التي يعتمد كثيرها على ملوك مكة (السعودية) الذين يكونون سعداء عندما يحصلون علي ١٠ أو ١٢% كرسوم من أرباح التجار الذين يتنقلون بين موانئ سواكن وجده وبين جده وجزر الهند، وينالنا جزء من رسوم النقل مما يجعلنا – حتى الآن – سعداء. ولكننا لم نجد أي استرسال يتعلق بالفنون هنا كما جاء في عنوان رسالته، إلا إذا كان يعتبر أن تجارة الخيول وتبادلها التجاري، وتنظيم بيعها وشرائها، جزءاً مما عناه في هذا الفصل.

وتأتى الرسالة الأخيرة في مؤلفه بعنوان:

Lettre Derniere: Descriptioen Des Caravans, et en Particulier de Celle qui part tous les ans de L' Egypte pour le pélerinage de la Mecque, Avec des Remarques sur cette ville & aur celle de Midine, sur la tombeau de Mabomet, sur la Maison d' Abraham.

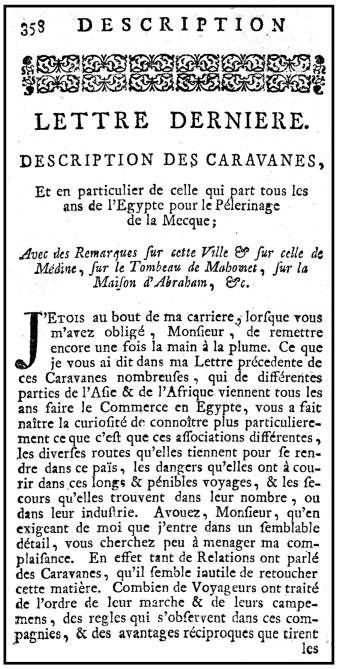

358 DESCRIPTION

LETTRE DERNIERE.

DESCRIPTION DES CARAVANES,

Et en particulier de celle qui part tous les ans de l'Egypte pour le Pélerinage de la Mecque;

Avec des Remarques ſur cette Ville & ſur celle de Médine, ſur le Tombeau de Mahomet, ſur la Maiſon d'Abraham, &c.

J'Etois au bout de ma carriere, lorſque vous m'avez obligé, Monſieur, de remettre encore une fois la main à la plume. Ce que je vous ai dit dans ma Lettre précedente de ces Caravanes nombreuſes, qui de différentes parties de l'Afie & de l'Afrique viennent tous les ans faire le Commerce en Egypte, vous a fait naître la curioſité de connoître plus particuliere-ment ce que c'eſt que ces aſſociations différentes, les diverſes routes qu'elles tiennent pour ſe rendre dans ce païs, les dangers qu'elles ont à courir dans ces longs & pénibles voyages, & les ſecours qu'elles trouvent dans leur nombre, ou dans leur induſtrie. Avouez, Monſieur, qu'en exigeant de moi que j'entre dans un ſemblable détail, vous cherchez peu à menager ma complaiſance. En effet tant de Relations ont parlé des Caravanes, qu'il ſemble iautile de retoucher cette matière. Combien de Voyageurs ont traité de l'ordre de leur marche & de leurs campemens, des regles qui s'obſervent dans ces compagnies, & des avantages réciproques que tirent les

خاتمة الكتاب

وفيه يصف القوافل التجارية المتجهة إلى مكة المكرمة، بالإضافة إلى مواكب الحجيج إلى هذه المدينة المقدسة، ويصف هذه القوافل باحترام شديد، ويتتبع مسارها حتى إذا بلغت مكة المكرمة، قام بوصف هذه المدينة ودورها في مناسك الحج، ونظرة المصريين لها، وتطلعهم لزيارتها، ومواعيد انطلاقها سنوياً، ويبدي اندهاشه لتعددها حيث تأتي من شتي أجزاء أفريقيا، ويتحدث عن الطرق التي يسلكونها، والمخاطر التي يتعرضون لها خلال رحلاتهم الطويلة والمؤلمة، والمزايا التي يجنونها من خلالها، وكيف تبدو علاقات هذه القوافل ببعضها، والمعسكرات التي تستقبلهم خلال مسيراتها والقواعد المتبعة في تشكيلها وعوائدها عقب العودة إلى قواعدها في أفريقيا مرورا بمصر، ويصف في هذه الرسالة عدة قوافل تأتى من الجنوب من النوبة ومن الغرب، ويصف مسيرتها بين الدروب والمرتفعات، ويحدد الزمن الذي تقطعه من مكان لآخر بشكل دقيق، وهو في هذا يؤرخ بحق لطبيعة هذا النشاط التجاري، ويصف ما تحمله ومن يحمله وأسلوب التعامل عند التلاقي مع قوافل أخري تنطلق إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة التي يأتي ذكرها فيذكر قبر الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وما يحيط به من جلال واحترام من قبل المسلمين الذين سماهم "المحمديين" في كل ما جاء في الكتاب.

ويختتم هذا العمل بمتن يضم مجمل أسماء الأعلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب وموقعهم في صفحاته وتفسيراً لمعاني بعض هذه المسميات ومواقع المدن والنواحي وغيرها مما يفيد القارئ في تتبع أهم مصطلحات الكتاب أو الأعلام التي وردت في فصوله.

هذا تحقيق لمحتوي هذا الكتاب النادر الذي قدمنا له لنضعه بين أيدي المهتمين بتاريخ الحملة الفرنسية، وسيبقى السؤال الملح : **هل استلهم علماء الحملة الفرنسية فكرة كتابهم الرائع "وصف مصر" من هذا الكتاب الذي يسبقه بثلاثة وسبعين عاما** في باريس عاصمة الحملة الفرنسية على مصر ؟؟.

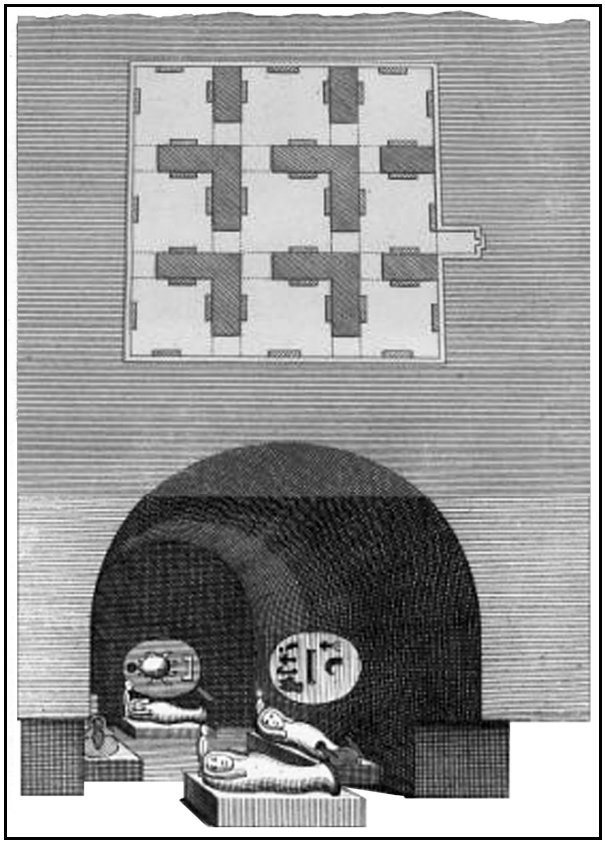

بعض المومياوات كما صدرها المؤلف

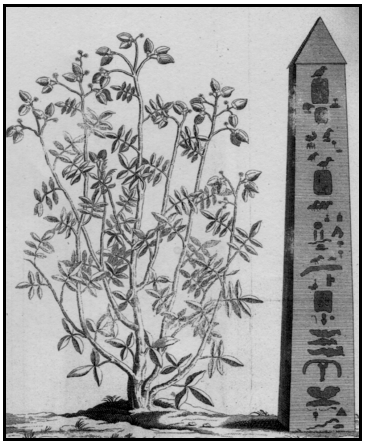

نوع من النباتات السائدة وارتفاعها الذى يضاهى ارتفاع المسلة كما أوردها المؤلف

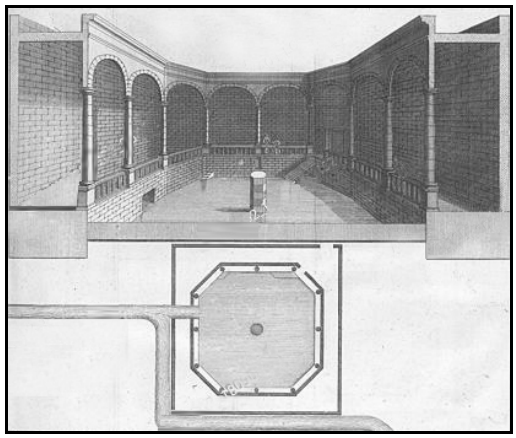

مقياس النيل
(من صور الكتاب)

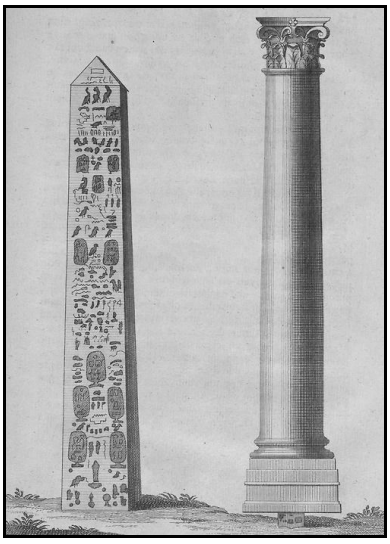

عمود الصوارى
(من صور الكتاب)

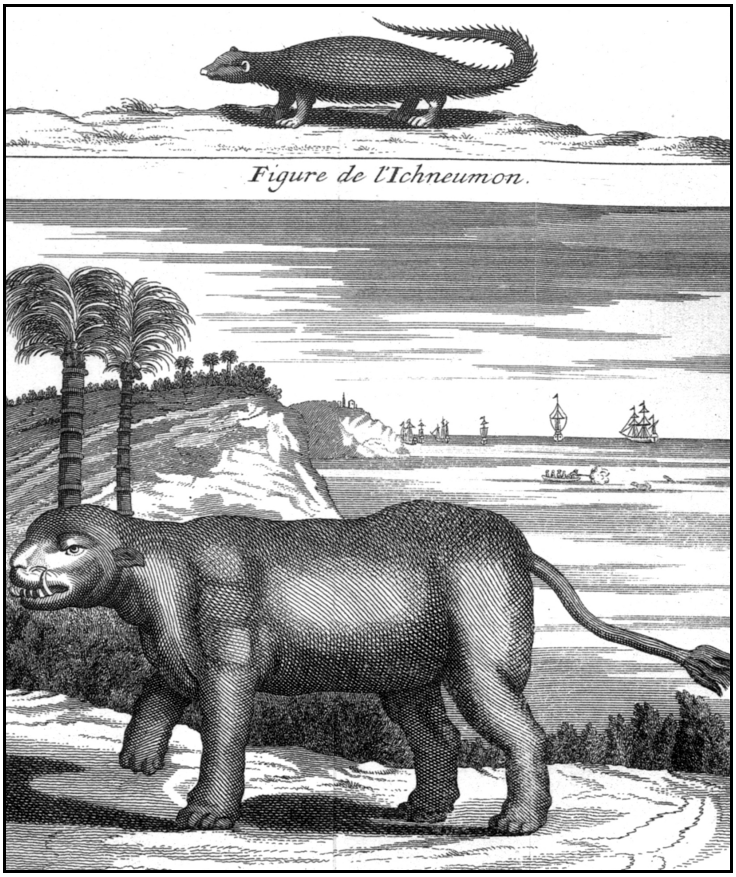

بعض الزواحف وحيوان سيد قشطه كما جاء فى الكتاب

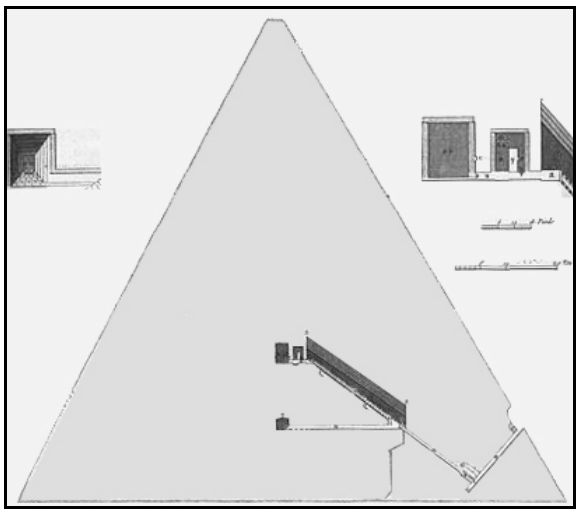

صورة الهرم الأكبر
كما جاء فى الكتاب